



العاطفة والصدق الفني من خلال ديوان "وحي الألم" للدكتور ذاكر شريف البرناوي  
دراسة نموذجية تطبيقية.

د. حبيب سليمان كورا – البدوي  
قسم اللغة العربية حالياً  
كلية سعادة ريمي للتربية  
ولاية كنو – نيجيريا.

ملخص البحث:

الحمد لله العظيم في شأنه القوي في سلطانه، الظاهر حجته وبرهانه المحتجب بالجلال، والمنفرد  
بالكمال، ذو عزّ الدائم السرمدى، والملك القائم الديمومى.  
والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه  
وسلم.

أما بعد:

بغية الباحث في هذه الورقة تسليط الضوء على ظاهرتين فنييتين مهمة في الشعر العربي ألا وهما  
العاطفة والصدق الفني من خلال ديوان "وحي الألم" الواردان في شعر للدكتور ذاكر شريف.

إذا كان الكيان الإنساني مزيّجاً من العقل والأحاسيس والمشاعر فإن الأدب تعبير عن هذه العناصر  
مجتمعه، ولكن بعض هذه العناصر قد يطفئ على بعضها الآخر، تبعاً لنوع التجربة الإنسانية وتبعاً  
للنوع الأدبي الذي يختاره الأديب للتعبير عن تجربته.

تتمثل هذه العناصر في: العاطفة، والخيال، والفكرة، والأسلوب، فالمحاورة، هذه المقالة تدور حول  
النقاط الآتية:

1- معنى العاطفة.

2- العاطفة عند علماء علم النفس.

3- العاطفة عند النقاد العرب القدامى والمحدثين.

4- أهمية العواطف في الإنتاج الأدبي.

5- أنواع العواطف الواردة في الديوان، وهي كالاتي:

أ/ عاطفة الغضب.

ب/ عاطفة الحب.

ج/ عواطف تدور حول موضوعات مادية مثل حب الولد لأمه والأم لابنها.

د/ عاطفة الشوق والحنين إلى الوطن.

هـ/ عاطفة الحزن والتحسر.

6- الصدق والأصالة في الإنتاج الأدبي.

7- تذوق بعض عنصر الصدق من خلال الديوان.

### العاطفة

هي عنصر أساسي من عناصر التجربة الأدبية، بل هي جزء من كيان كل إنسان، سواء أكان أدبيًا أم غير أدبي، ولكنها لدى الأديب مجسدة من خلال أدوات تعبيرية معينة، قوامها اللغة، والتخيل، والايقاع، والبناء العام.

ولما كان للعاطفة علاقة وطيدة بعلم النفس التربوي يجدر بالباحث أن يتطلع إلى ما قاله المربون حول معناها عندهم، قبل وقوفه عن ماهيتها عند النقاد العرب.

### العاطفة عند علماء علم النفس:

استعداد نفسي، ينشأ عن تركيز مجموعة من الإنفعالات حول موضوع معين، ذلك لأن هذا الموضوع في خبرة الشخص الماضية، كان مثيرا لعدة ميول مختلفة ونتج عن تكرار هذه الاستنارة أن أصبح الفرد مستعداً لاستجابة الانفعالية - على نحو ما - له استجابة تختلف باختلاف الموقف الذي يوجد فيه، فالعاطفة إذن هي عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه، مكتسبة بالخبرة والتعليم.<sup>1</sup>

العاطفة: حالة شعورية تندفع من النفس البشري إثر انفعالها بحدث تراه أو تسمعه، أو بمشهد يؤثر فيه، وهي تقابل العقل ولا توافقه، والعاطفة مرتبطة بالشعور الإنساني ولا تنفصل عنه، مهما كان الإنسان عنيداً في إظهار مشاعره.

### العاطفة عند النقاد العرب القدامى والمحدثين:

لقد ذكر النقاد العرب القدامى أهمية العاطفة من حيث هي جزء من عناصر الشعر الجيد، ومن حيث دوافعها ومثيراتها، ولكنهم لم يسموها بهذا الاسم، وإنما تحدثوا عن دوافعها وآثارها، قال ابن قتيبة:

2- د/ مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، مكتبة مصر دار مصر للطباعة والنشر، بدون ذكر عدد الطباعة، والتاريخ، ص: 95، نقلا عن:

ROBER H. THOULES: GENERAL AND SOCIAL PSYCHOLOGY 1944, PP. 96 – 97.

"الشعر دواع تحت البطئ وتعبث المتكلف، ومنها الطمع ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب ومنها الغضب".<sup>2</sup>

وقال ابن رشيق:

"قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرغبة، والطرب، والغضب. فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرغبة يكون الإعتذار، والإستعطاف، ومع الطرب يكون التشوق، والنسيب. ومع الغضب يكون الهجاء، والتوعد، والعقاب الموجه".<sup>3</sup>

وقد عرفها بعض النقاد المحدثين بأنها: "مشاعر نفسية تندفع من النفس الإنسانية ليعبر عنها بفعل عسكي، إن آخرته عواتقُ استعادَ العقل رشده فأحجم أو قصر".<sup>4</sup>

العاطفة: هي الإحساس الدافع في قلب الأديب من جراء تفاعل العالم الخارجي مع نفسيته سلباً أو إيجاباً، قبولاً أو رفضاً، سروراً أو غضباً، حباً أو كرهاً.<sup>5</sup>

وعرفها دكتور طه أبوكريشة بأنها: "الحالة التي تنتشع فيها الأديب بموضوع، أو فكرة، أو مشاهدة وتؤثر تأثيراً قوياً يدفعه إلى التعبير عن مشاعره".<sup>6</sup>

فالعاطفة إذن مجموعة المشاعر الإنسانية المتعددة المتلوثة التي تدفع بنا إلى الحب والكره والحزن والفرح والسعادة، والشقاء، والرخاء وعدمه، فنلَوْن الأمزجة والطباع وتتضح من قلب الأديب مع أدبه، فإذا كان التعبير عنها صادقاً مؤثراً ونقلها أميناً كانت قادرة على التأثير في القارئ المرهف الحس تأثيراً مماثلاً.

والعواطف جزء رئيسي من الوجدان فهي الانفعالات النفسية الموجهة إلى مؤثر خاص، تمثل نزعات الإنسان وميوله الذاتية، أو الإجتماعية: تركز على صلة الإنسان بغيره في المجتمع. والنفس الإنسانية ميدان يزخر بألوان من العواطف التي تعبر عن شتى ميول الإنسان ورغباته.

يتميز الشعراء بحدة عواطفهم وسعة انفعالاتهم النفسية، وهم حين يعرضون لحقائق الحياة التي تستثيرهم للتعبير عنها، ولا تعنيهم من الناحية الحقيقية أو الذهنية أو العلمية لها، بل يعنيه ما تأثيره في نفوسهم وإدراكهم إياها بوجدانهم، فالليل مثلاً حقيقة كونية يتعاقب مع النهار، ويمكن للجغرافيين أن يفسروا ظاهرة وجوده تفسيراً علمياً يتصل بدوران الأرض، ولكن حين يتأمل امرؤ القيس لا تعنيه حقيقته من حيث هي، ولكنه يعرضه لنا من خلال عواطفه وإدراكه الوجداني، فيقول:

وليل كموج البحر أرخى سدوله\* عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

- الشعر والشعراء، ج1، ص: 78. وينظر في النقد الأدبي، د/ عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت،

ط<sup>2</sup>، 1972م، ص: 102.

- العمدة في محاسن الشعر ونقده، دار الجيل ببيروت، الطبعة الخامسة، 1401هـ = 1981م، ص: 120<sup>3</sup>.

- د/ محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، ط/2، 1419هـ - 1999م، ص: 613.

<sup>5</sup> - د/ داود سلوم، النقد الأدبي، بغداد، 1967م، ص: 63.

<sup>6</sup> - النقد الأدبي الحديث تاريخه وقضاياها، أبو رمول للطباعة والنشر، بدون ذكر التاريخ والعدد.



والعاطفة في الأدب شديدة الارتباط به، فالشاعر لا يصدرُ شعره إلا بدافع من عاطفته، والأديب لا يكتب من عدم، وآفاق العاطفة في الأدب رحبة، فهناك عاطفة وجدانية، وعاطفة قومية، وعاطفة وطنية، وعاطفة إنسانية، حتى ما يكتبه الكاتب وينظمه الشاعر، من غير دوافع شعورية، إنما يكتبه بعاطفة فنية، فلا يستغنى عن العاطفة في الأدب – بل هي أصل الإبداع، والبراعة. والجودة، والنص بلا عاطفة لا يلمسُ مشاعرَ المستمعين والمطالعين كما أن المغالاة فيها لا يُعدُّ من العاطفة، بل يعد من التصنع.<sup>10</sup>

ومن أهميتها ترقية النص الشعري، يقول دكتور شوقي ضيف: "القطع الأدبية ترقى برقى العاطفة وتنحط بانحطاطها".<sup>11</sup> فالأديب الذي يمدح شخصا لأنه قدّم له مكافأة من المال لا يثيرنا ولا نجدنا نشاركه في أفكاره إلا إذا خرج من أفقه الشخصي إلى أفق إنساني عام كمدح الكرم ومساعدة البأس، إنه حينئذ يكون ندوه واسعا ولا يكون صوتا لنفسه ولا بوقاً لها بل للناس جميعا.

ومن أهمية العواطف الإنسانية سيطرتها على الحياة البشرية التي تندفع الأفراد والجماعات تارة إلى أمام وتجد بهم طورا إلى الوراء.

### أنواع العواطف في الإنتاج الأدبي:

والعواطف تكاد لا تحصى، لكن النقاد حاولوا تحديد أنواعها فيما يلي:

عاطفة الطمع، الحب، البغض، الحسد، الانتقام، الإحترام، الإحتقار، اللوم، العتاب، الخوف، الإعجاب، القلق، الإضطراب، الحزن، الفرح، اللوعة، الأريحية، الإيثار، الكفر، العصبية، التعصب، النقمة، الذل، الكبرياء، العبودية، الأنانية، الإشمئزاز، الحنان السرور، اليأس، القناعة، الطموح، التحرر، التلذذ، الشوق، والحنين، شعور الراحة، التشاؤم، التخاذل، التفاؤل، البخل، الكرم، الخجل، التسامح، الأبوة، البنوة، الرضا، الإنكماش، التجرد، الإنصاف، الخيانة، المرح، الخ.<sup>12</sup>

### ما ورد في الديوان من العواطف:

بعد قراءة فاحصة لأبيات الديوان استطاع الباحث أن يقف على العواطف الواردة في هذا الديوان، فمنها: عاطفة الغضب أو البغض والسخط، وتجد كذلك عاطفة الحب والحنان، وعاطفة البنوة والأمومة، ثم عاطفة الإخلاص للقوم، وعاطفة الغرام والحب إلى امرأة، ثم عاطفة الطرب.

إضافة إلى ما سبق من العواطف، تجد عاطفة الكرم والتسامح، وعاطفة التشاؤم والبخل والانكماش.

هذه هي بعض أنواع العواطف التي توصل إليها الباحث إن دلّت على شيء فإنما تدل على أن نفس الشاعر مليئة بأنواع من العواطف المختلفة التي تستولى على كيانه.

ومما يلي تحليل تلك العواطف كنموذج، وهي على هيكل الآتي:

<sup>10</sup> - انظر في: المعجم المفصل في الأدب، لدكتور محمد التونسي، المصدر السابق.

<sup>11</sup> - دكتور شوقي، في الأدب والنقد، دار المعارف، 1999م، ص: 13.

- كمال أبو مصلح، الكامل في النقد الأدبي/ منشورات المكتبة الحديثة بيروت، ط/3، 1967م،

<sup>12</sup> ص: 70.

## 1- عاطفة الغضب:

الغضب هو عاطفة لها تأثير جسدي تتجم عنه زيادة في معدل ضربات القلب.

تستولي عاطفة الغضب والسخط على جوّ أشعار هذا الديوان، فهي مبنوثة ومنتشرة بالكثرة، وقد تسرّب من هذه العاطفة كلا من التهديد، والعتاب، والشكوى والهجاء، ويبدو أن لذلك صلة بتجارب الشاعر النفسية أو بالظروف الاجتماعية.

ومما يورده الباحث في هذا المقام قصيدة الشاعر المعنونة بـ "من عائشة بللو إلى عائشة كاتنغ".

القصيدة تحكي لنا ارتداد الصحافية المشهورة عائشة بللو، التي إنزلت ساقها إلى حضيض الكفر، وتزوّجت مسحي، فتحوّل اسمها إلى عائشة كاتنغ، فجاش في قلب الشاعر عاطفة الغضب، فعبر الشاعر قصيدته بكلمات تتسم بالحرارة والوهاج العاطفي، ومن ذلك قوله:

هي أمة نامت وطال سباتها \* فسطا عليها الذل كالشيطان  
هي أمة قد أخرجت لتذب عن \* دين الإله ونصرة الإيمان  
هي أمة أمرت بإسداء النصا \* نح في البلاد ونجدة اللهفان  
هي أمة سادت وضاء نجومها \* من قبل أن يتقاتل الاخوان

إلى قوله:

أو ما سمعتم بالمذيعاة ويحكم \* قوموا لردع عقيدة الصلبان  
قد قيل عاف زواجها من أسلموا \* فتنصرت وتراكم الخـزيان  
وتزوّجت من كافر وفعالها \* يدمي الفؤاد فتدّمع العينان  
هل ثمّ من يسعى لدرء متاعب \* ويحول دون مطامع الشيطان  
هذا الشنار أبته لأولي النهى \* وإذا أردت فقل أو العرفان

لا شك أن الشاعر قد اهتدى إلى اختيار الألفاظ التي توأم هذه العاطفة، وذلك لما تتمتع به من دلالة وقوة فائقة.

إن مثل هذه الألفاظ التي تتجلى فيها غضبه منها على سبيل المثال: نامت، سباتها، ردع، تنصرت، ويحكّم، يدمي، الخزيان، الشنار، وغير ذلك من الألفاظ.

هذا ومما يأخذه الباحث في هذا الصدد نموذجاً قصيدة الشاعر "الحسود" التي نظمها يهجو حاسده، الذي يرميه بشرر كالقصر ويتمنى للشاعر الهلاك والموت والفاقة والحرمان، زد على ذلك تتبّع عورات الشاعر وعيوبه.

لقد أغاز الشاعر فهجاه، من صميم قلبه بكلماته المسعرة التي تترك الأثر الغائر في قلب الحاسد، اسمعوه يقول:

- يغیظ عدوی أن یرانی منعماً \* ویرمقنی شرراً کنار تحرق  
 إذا ما بکیتُ الدهر فقراً یره \* معانة مثلي بل بذا یمشدق  
 إذا مسنی ضرُّ تيمن باله \* وإن نالني خير به الماء یشرق  
 لقد غاظه ثوبي الممزق ویله \* فكيف جدید الثوب ذلك یحرق  
 كما غاظه من قبل کوني على الثراء \* أعیس بحمد الله لا أتملق  
 یرید عیوبی والیتبع ذلّة \* فكيف بجاسوس أتاك یحملق  
 سأمضي بحمد الله لم أك خائفا \* قساری عدوي غصة ثم یحدق

هنا عاطفة غضبية متوهجة، من خلالها يشعر الإنسان بقوة العاطفة، حيث أنها تشرح إحساس الشاعر ومشاعره العميقة، فقد غاظه خوض عدوه في عرضه وأوجعه ذلك وتأذى الشاعر، فثارت انفعالاته وتأججت عاطفته غيظاً وغضباً.

## 2- عاطفة الحب:

الحب هو شعور بالإنجذاب والإعجاب نحو شخص ما، أو شيء ما.

فعاطفة الحب، من أنبل العواطف الإنسانية على الإطلاق وهي ركيزة البقاء، ولحمة المجتمع، وهي في بعض النصوص قننة، دنيئة، عششت في طياتها الجراثيم، وغلب عليها الداء العلياء، فماعت وانهرقت رقّة وجوى وتلهفاً، وراح صاحبها يتذمر، ويشكو ما يعانیه من الألم والضبي، وتباريح البعاد، ودلال المعشوق، والحنين إلى الوصال، وهي أحياناً راقية قمينة بالإحترام، مزدانة بالرصانة والحشمة والوقار، مترفعة عن لذة الحس، باعثة على نوع من اللذة الروحية.<sup>13</sup>

إن الذي يدرس أشعار هذا الديوان وينفذ إلى أعماقها يقف - بدون أي ما شك - على تلك العاطفة، التي من خلالها عبّر عن ملامح الجمالية الفتانة التي تملكه الحبيبة، وكذلك صرّح عن مكانتها التي احتلتها، عبّر هذا وذاك من ثنايا قلبه، بكلمات منبعثة من شعوره وانفعالاته، وقد نجح الشاعر في هذه القصائد الغرامية نقل القارئ من جوّه العاطفي إلى جوّ عاطفي آخر يعايشه الشاعر، ولا غرابة في ذلك لما منحته تلك العاطفة من قوة وحرارة.

وخير ما يمثل به الباحث هنا قصيدته "جناح الخير" التي جاء في مطلعها:

- یغرد عصفور فیشجي أبا الهوى \* ویبكي له هذا المحب المعانیا  
 فیا لیت شعري هل سعادك قد نأت \* فتبكي دموعاً أم رثیت لحالیا  
 وهل ذاك تیهام ووجد وفرحة \* بوصل حبيب قد أتاك مناجیا  
 کلانا أیا عصفور یبكي شجونہ \* فهل لك أن تدنو لحل وثاقیا

<sup>13</sup>- كمال أبو مصلح، الكامل في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص: 77.

فما لك تبكي والدموع عصبية \* وما لك تبكي والزمان مداريا  
 فهذا جناح قد تطير به إلى الأخرى \* لاء إن بآنا—وا تعيش مدانيا  
 أ تبكي وهذي منحةً فيك جمعت \* تجوب الفضا لا تخش جور مُعاديا  
 ولا تخش من واش وشـر منافق \* ولا راقب إذ جئت بالليل ساريا  
 لا شك أن هذه الأبيات تنال من إعجاب القارئ نيلاً عظيماً حيث تسري إليه عواطف الشاعر  
 ومشاعره من حيث لا يشعر.

ويلاحظ أيضاً أن هذه العواطف يدوم أثرها في نفس القارئ وتبقى إلى أمد بعيد.

### 3- عواطف تدور حول موضوعات مادية، مثل حب الولد لأمه، والأم لابنها:

أدلى الشاعر دلوه بين الدلاء في صوغ مثل هذه الأبيات التي تظهر عاطفته نحو حب أمه، التي  
 سهرت ليلها في خدمته وأذهبت جُلّ أوقاتها في تربيته، وغرست الفضيلة فيه.  
 حاول الشاعر أن يحكي لنا شعوره الجذاب نحوها، بأبيات تترك الأثر البالغ في نفس القارئ  
 والسامع، أداها الشاعر بأسلوب شيق، مخاطب للضمير والعاطفة.

ومما يورده الباحث هنا كنموذجاً، قصيدته "أمي" يقول فيها:

فديتك أمي بالنفائس تفتدي \* ومثلي حقيق أن أكون من افتدى  
 تجملت منا كل شر تجملا \* وأصلحت فينا كل من قد تمردا  
 فأنت التي أجبرت كسرى تعطفاً \* واسمك أمي صار كالشمس مفردا  
 وحبك في قلبي وكل مفاصلي \* وأنت معي طول الغياب ومشهدا  
 تعلمت منك العزم مذ كنت يافعا \* وعلمتني الإيثار والحب والجدا  
 جزاك إلهي ما حييت بخيره \* وعافية ما عشت دهرأ ويسعدا  
 ومدّ إلهي من حياتك طوله \* تعيشني مثالا للجميع فيغتدى  
 عليك سلام الله ماذر شارق \* وما رفر العصفور أو فاح منشدا

### 4- عاطفة الحزن والتحسر:

هي إظهار الحزن لفقد قريب أو حبيب ذكراً كان أم أنثى، فيذرف الراثي دموعاً مدراراً تفجعاً  
 للفقيد، ويعدد محاسن الفقيد وتحسر لتلك المزايا التي ألفها من الميت، والتي انقطعت بوفاة صاحب  
 تلك الصفات الحميدة، فتثير هذه الذكريات أشجاناً تؤدي إلى ثج الدموع ولطم الخدود، وشق  
 الجيوب والنياحة وارتفاع الأصوات عند البكاء، والقعود على ضريح الفقيد أياماً، وصب الخمر  
 على رموس الأحباب الراحلة، وكل ذلك كان قل ظهور الإسلام، ولما ظهر الإسلام أنكر هذه

التقاليد السيئة. إنحاذ شعراء المرثي إلى ذكر الصفات الحميدة للميت، من كرم واستيضاف الضيوف، والشجاعة في الجهاد لإعلاء كلمة الله،<sup>14</sup> والصبر على البلايا.

المتأمل لديوان سيد ذاك شريف يظهر له جلياً أنه داس قدميه في هذا الغرض وأجاد، وعبر حزنه العميق على فقيده بعاطفة قوية صادقة، ذو مكانة اجتماعية ودينية وعلمية عالية.

ومما يأخذ الباحث نموذجاً، قصيدته "رثاء الدكتور غبراهيم ذاك" الذي جاء فيها:

لئن أوقفت أيدي المنايا حياته \* سيبقى سناه الفذ دهر دهائره  
وإن فاجعته الموت فاعلم بأنه \* لسيف على ليل الجهالة شاهره  
ليبيكه طلاب المعارف جهدهم \* ويبيكه هذا الدين إذ قد يؤازره  
كفاه بأن صلت عليه وكبرت \* جماعات خير أعجبتهم مفاخرة  
وصلى عليه الأولياء وجمعهم \* دليل على أن المهيم غافره

القارئ لأبيات السابقة ما من شك يشارك الشاعر حزنه وألمه وشعوره العاطفي.

#### 5- عاطفة الشوق والحنين إلى الوطن:

إن الحنين إلى الوطن والشوق إليه، من الخصائص البارزة من شعر المحدثين، لأنهم فارقوا الوطن إلى أرض المنفى حيث أقاموا هناك، فكلفهم هذا الحبس تعداد مزيا أوطانهم وبلادهم، مترجمين عن أحاسيسهم ووجدانهم وميولهم تجاهه، في صورة فنية أدبية.

شاعرنا هو الآخر قد حذا حذوهم وسلك مسلكهم في بث شعوره وانفعالاته تجاه الوطن الحنون.

وخير ما يمثل به الباحث في هذا المقام، قصيدته "نيجيريا الأم" التي جاء فيها:

قروح بجسمي ثم أغضيت ناسيا \* وهـرولت للأغيار فور التعسف  
وقد عفنت هذي القروح وأخرجت \* صديدا وكل الناس مني تأفوا  
تأمل تـرى هذي الدامل بارزت \* وتأكل جسمي والمصائب تدنف  
وتـي جمرة لازات أشعر حـرها \* بقلبي وإنـي بالشجاعة  
أعرف  
أتصـرم حبلـي ثم توصل غيريا \* أجهلا بقـدري أم تـراه

- دكتور سمبو ولي حنيد، محاضر بجامعة عثمان بن فودي، مقالة بعنوان: قاضي الوزير عبد القادر مألنوراج ومرثيته على الوزير محمد البخاري مجلة دراسات عربية، لجامعة بايرو كنو،<sup>14</sup> العدد الأول، أكتوبر 2001م، ص: 166.

أَتَرَكَ نِي وَالسَّادَاءَ بَادٍ وَهَذِهِ \* وَجُوهُ كَرَامِ النَّاسِ  
مَنِي تَأْسُفٌ

فَلَا تَتْرَكُونَنِي لِلْبَلَايَا فَإِنِّي \* أَنَا أُمٌّ لِلْبَاقِي وَمَنْ  
هُوَ مَنْصُفٌ

لا شك أن القارئ أو السامع يلمس من خلال هذه الأبيات عاطفة الحنان والشوق إلى الوطن، ففيها يشارك الشاعر كفاحه ودفاعه عن الوطن بكل ما يستطيع.

وخلاصة القول، فإن الباحث قد توصل إلى استنباط أهم العواطف الكامنة في الديوان، فهي عنصر أساسي لأشعار صاحب الديوان، وأنها لا تقتصر على موضوع دون غيره، أو قصيدة دون أخرى، فهي تلازم الشاعر في شعره ملازمة كلب أصحاب الغار ولا تفارقه لحظة من الزمن، وأن هذه العواطف تحتل مكانة رفيعة في قلب القارئ والسامع وتسلب عنهما وعيها، فتجعلهما يعيشان في جوّ الأثر الأدبي، مما يدل على أن الشاعر قويّ الشعور قوي التركيب والمعنى، قوي الخيال والفكرة، وبالتالي قوي العاطفة.

#### 6- عاطفة القلق والاضطراب:

وهي حالة انفعالية المصحوبة بالخوف والاضطراب التي ينسكب الشاعر فيها آلامه وقلقه تجاه قضية من قضايا الاجتماعية التي يعانيتها الشعب.

ومما يمثل الباحث في هذا الصدد، قصيدة الشاعر "وأما السائل فلا تنهر" التي ذكر فيها حالة الفقراء، من محاصرة الفقر ومكابدته، وتحمل أعباء الحياة وآلامها، ولبس أطماراً من الثياب لمواراة عودته المغلظة، والصبر على الجوع والطوى. والتزود بزاد نبي الله أيوب فانه حسبهم. اسمعوه يقول:

أَفِي الْفَقْرِ عَيْبٌ أَمْ بِهِ السُّوءُ فَاخْبِرُوا \* وَمَا ذَنْبٌ مَسْكِينٍ أَتَى يَتَكَفَّفُ

نَاوِشُهُ الْأَنْسَاءَ مِمَّنْ كُلِّ جَانِبٍ \* وَتَتَنَّا بِهِ الْأَمْرَاضَ وَالْحَالَ  
مَوْسُفٌ

يَنْسُوهُ بِأَعْبَاءِ الْعِيَالِ وَحَوْلِهِ \* ذُنُوبٌ فَهَلْ فِي النَّاسِ مِنْ ثَمٍّ  
يَعْرِفُ

تَرَاهُ وَقَدْ جَفَّتْ يَسَادَاهُ وَأَصْحَبَتْ \* كَقَطْعٍ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْدَمْعِ يَذْرِفُ

وَيَلْبَسُ أَطْمَارًا كَمَا ذَاكَ بِنَاتِهِ \* فَهَلْ ثَمَّ حَرٌّ لِلدَّمْعِ  
يَكْفِكُفُ

وَفِي بَيْتِهِ قَدْرٌ وَإِنْ كَانَ عَاطِلاً \* فَلَا يَعْرِفُ النَّيْرَانَ كَانَ  
مَشْرِقٌ

قَدُورٌ تَنَاهَتْ فِي الْبَيَاضِ وَكَيْفَ لَا \* وَأَصْحَابُهَا قَاسُوا الطَّوَى وَتَعَفَّفُوا

هموا كتموا إعوهم وتزوودوا \* بزواد  
أيوبسي ولست أجدف

### عنصر الصدق في الإنتاج الأدبي

الصدق: عبارة عن الإحساس والشعور الصادق الأصيل والتفكير المتميز الأصيل في العمل الأدبي.

إذا نظم الشاعر قصيدة يدعى فيها أنه أحب أو أبغض، أعجب أو احتقر، رضي أو سخط، خاف أو اطمأن، فرح أو حزن، ضحك أو بكى، سعد أو شقي، فإن أول سؤال يجب أن نسأله حين نقرأ قصيدته، هل شعر حقاً بهذا الشعور الذي يدعيه؟ وانفعل بذلك الإنفعال الذي يزعمه؟ وهل مرّ حقاً بتلك التجربة التي يحاول نقلها إلينا؟ وعلى الإجابة عن هذا السؤال الأول، يتوقف قبولنا المبدئي لقصيدته، واستمرارنا في تقديرها، ورفضنا لها منذ البدء، وإبائنا أن ندخلها في دائرة الأدب الصادق.

يرى بعض النقاد أن موقف الشعراء من الصدق والكذب مختلف، فيجعل بعضهم الصدق مقياساً لجودة الشعر وحسنه، وطالب بالتزامه، ونظر إليه على أنه ميزة تحمد للشاعر، ويمثل لهؤلاء حسان بن ثابت في قوله:

وإن أحسن بيت أنت قائله \* بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقاً

وقد وضح لنا الجرجاني ما يمكن أن يكون قد قصده حسان بالصدق، الذي دعا إليه في هذا البيت، فقال: "فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دلّ على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروض جماح الهوى، وتبعث على التقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال وتفصيل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال".<sup>15</sup>

بينما تجد شاعراً آخر لا يعد الصدق مقياساً لجودة الشعر بل يعد الكذب في الشعر عنصراً مهماً، فاستمع إلى البحري وهو ينشد:

كلفتمونا حدود منطقتكم \* والشعر يغنى عن صدقه كذبه

من هنا نجد أن للشعراء في شعرهم منهجين مختلفين: أحدهما: يؤثر الصدق في القول، والآخر: لا يبالي بالكذب فيه.

والكذب عند الجرجاني مرادف للتخييل، ولذلك فإننا نجده يفسر الكذب من خلال التخييل، ويبين أن من أراد الكذب في الشعر، فإنما يريد الإتساع والتخييل، وقد عرف لنا التخييل بأنه هو: "ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه، ويربها ما لا ترى".<sup>16</sup>

- د/ حمّود حسين يونس، الموزانة في النقد العربي حتى القرن الخامس الهجري، دمشق 2008م،

<sup>15</sup> الطبعة الأولى، ص: 178.

<sup>16</sup> - الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 270.

وكذلك الأمر للنقاد: فقد اختلفوا في هذه القضية، وتباينت مواقفهم فيها، وسادت الساحة النقدية مقولات ثلاث، تعكس اتجاهات النقاد الرئيسية، وتوضح مناهجهم في النظر إلى هذه القضية، المقولة الأولى هي: أحسن الشعر أكذبه، والثانية: أحسن الشعر أصدق، والثالثة: أحسن الشعر أصدقده.

ولما كانت العاطفة مجموعة من الاحساس والمشاعر الإنسانية المتعددة المتلونة التي تدفع بنا إلى الحب والكره، والحزن والفرح، والسعادة والشقاء، والرخاء وعدمه وغير ذلك، فالأمزجة والطباع تتضح من قلب الأديب مع أدبه، فإذا كان التعبير عنها صادقا مؤثرا، ونقلها أميناً، كانت قادرة على التأثير في القارئ تأثيراً مماثلاً.<sup>17</sup>

ورغم اختلاف النقاد من قضية الصدق والكذب في الانتاج الأدبي، فإنهم يقررون أن الصدق في الشعر فضيلة لا تنكر، وعلى هذا الأساس فضّل عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهيراً لأنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه.

والحاصل أن سيدنا عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، مرة قائلاً: "هل تروى لشاعر الشعراء فقال ابن عباس فقلت: ومن هو؟ قال الذي يقول:

ولو أن حمداً يخلد الناس أخذوا\* ولكن حمد الناس ليس لمخلد

فقلت: ذلك زهير، قال فذاك شاعر الشعراء، قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال لأنه كان لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه".<sup>18</sup>

فعمر يبين لنا أسباب التي دفعته إلى تفضيل زهير على الشعراء كاجتنابه المعازلة وابتعاده عن الألفاظ المهجورة التي قل استعمالها بين الناس وعفا عليها الزمن والتجائه إلى الألفاظ المأنوسة والشائعة والمتداولة، إضافة إلى أنه صادق في مدحه فلا يثني على الرجل إلا بما هو أهل له، ولا يضيف إليه من الصفات أو ينسب إليه النعوت إلا بما فيه، وهذه خصال وسجايا تتسجم عموماً مع ما يدعو إليه الدين الإسلامي ويؤديه من بُعد الحذقة، والتشدد، والتلاعب بالألفاظ والكذب. وكل ما من شأنه تزييف الحقائق. ولا نترك هذا المجال إلا وأوردنا موقف المرحوم على نائبي سويد الضدي حول قضية الكذب في الانتاج الأدبي.

يقول المرحوم: "إننا نتخذ موقفاً مضاداً، تمام الضدية للموقف الذي ذكره ابن رشيق:<sup>19</sup> فإذا عفونا عن الكذب في أي شيء آخر، إذا عفونا عن الكذب في معاملاتنا اليومية، فإننا لن نعفو عنه في الأدب، لأننا إذا كذبنا في أمور بيعنا وشرائنا فإن الضرر الذي يحدث يكون في الغالب جزئياً محدوداً، أما إذا كذبنا في الأدب، فإننا نشوه من فهمنا لكياننا الإنساني كله، ونزيف صورتنا عن حياتنا الإنسانية الشاملة، فنخلق لأنفسنا ونعطي أولادنا وأحفادنا صورة خاطئة وزائفة عن تجارب الإنسان الأساسية في هذا الكون، وطبيعة شعوره وموقفه، وردّ فعله على أحداث الحياة، وهذا

<sup>17</sup> - داود سلوم، النقد الأدبي، مطبعة الزهراء بغداد 1417هـ، ص: 32.

<sup>18</sup> - حمود حسين يونس، "الدكتور" الموازنة في النقد الأدبي، سبق ذكره.

- قال ابن رشيق: في عمدته: "أن الكذب الذي اجتمع على قبحه حسن فيه". راجع باب فضائل الشعر.<sup>19</sup>

يحمل الشرّ المستطير والضرر الوبيل بما يهدد صلاحيتنا للبقاء، مجرد للبقاء في هذا الكون، لهذا نرفض الأدب الكاذب رفضاً قاطعاً...<sup>20</sup>

بناءً على ما سبق من آراء وأقوال، يمكن أن يقول الباحث إن السيد ذاكر شريف يعبر خلجات نفسه وشعوره وانفعالاته عن عاطفة صادقة غير مزورة، ذلك لأنه تأثر بالإسلام تأثيراً يمنع ترويدي إلى حضيض الكذب في إنتاجه الأدبي، أتى يكذب في شعوره وإحساسه بعد علمه بأن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل، وموعظة تبعث عن التقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفضل بين المحمود والمذموم من الخصال.

زد على ذلك إيمان شعراء الأفارقة بأن الشعر الخالد هو ما وافق الواقع، كما ذكر ابن رشيق الأندلسي في عمدته "وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها وهجيت وعبّرت، فحط الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة، ومضى صفحاً عن الآخرين، لما لم يوافق الحقيقة وصادق الرمية".<sup>21</sup>

من هنا تبين لنا أن وظيفة الأديب تصوير عاطفته الإنسانية نحو الواقع ونظرته الخاصة الشخصية إليه، وموقفه منه، ورد فعله عليه، لذا أكد النويهي الصدق والأصالة في الإنتاج الفني بقوله "فحن نطلب الصدق في الأدب، لأننا نريد من الأدب أن يكون تصويراً أميناً لحقيقة عاطفة الإنسان نحو الوجود وسلوكه الحقيقي في تجارب حياته المختلفة، حتى نستطيع أن نفهم تلك العاطفة ونقدر ذلك السلوك فهماً وتقديراً صحيحين عميقين".<sup>22</sup>

وبهذا الميزان الفني الذي تبناه النقاد القدامى منهم والمحدثين يريد أن يعالج الباحث هذا الديوان ليري هل الشاعر ذاكر خطى درب أسلافه من الشعراء في قول الصدق في أشعاره، وهل حقاً كانت تجربته صادقة وأمينية؟

ومما عرفناه ضرورياً أن الشاعر إذا نظم قصيدة حب فإن أول ما نستزمه أن يكون قد أحب حقاً، وشعر حقاً بهذا النوع من الحب الذي يريد أن ينقله إلينا، وإذا نظم قصيدة رثاء فإن أول ما نشترطه أن يكون قد حزن حزناً صادقاً لوفاة من يرثيه، وأن يكون تصويره لنوع حزنه ومقداره ومداه تاماً.

وإذا مدح شخصاً أو هجاه، أو ادعى إعجاباً أو تحملاً للدين، فأول ما نطالبه أن تكون عاطفته التي يصورها، هي العاطفة الحقيقية التي ثارت به تجاه موضوعه، وأن تكون قد ثارت به القدر الذي يصوره، فإن لم يحقق هذا الشرط البدائي فليس ما ينتجه أدباً مهما تكن فيه من مقدرة لفظية ونظمية.

وعلى هذا الأساس نأخذ الأمثلة والنماذج من هذا الديوان ونطبقها تطبيقاً نموذجياً.

**النموذج الأول: قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيها:**

هو رحمة للعالمين وإنــــه \* نور الإله به انزوت لأواء

- الأستاذ الدكتور علي نانبي سويد المرحوم، كيف ننذوق الأدب العربي، دار الأمة، 2006، بدون

<sup>20</sup> ذكر العدد، ص: 26 - 27.

<sup>21</sup> - ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص: 62.

- الدكتور محمد النويهي، عنصر الصدق في الأدب، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات

<sup>22</sup> الأدبية واللغوية، سنة 1959م، ص: 38.

هذا ابن أمانة الأمين محمد \* وسماته باحت بها البلغاء

وبفضله حمل المشاعر قادة \* دانت لهم دنيا وهم فقراء

خير الخلائق تاجها وسراجها \* وبحبله يتمسك العقلاء

خير الأنام شفيعها وممدها \* يوم الحساب وولت الشعاء

لا شك أن هذا التعبير نابع من حب حقيقي للمصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن الشوق الصادق والخالص له، الذي جعل الشاعر إلى ذكر خلقته صلى الله عليه وسلم الفائقة النذير، التي بهرت البلغاء والشعراء من وصف كنهها وصفا يغطي جميع الجمال، الذي أشار إليه حسان بن ثابت رضي الله عنه من قبل:

وأحسن منك لم ترى قط عيني \* وأجمل منك لم تــــلد النساء

خلقت مبــــرراً من كل عيب \* كأنك قد خلقت كما تشاء

فالصدق الفني هنا ظاهر ملموس، لأنه عبّر عن حبه الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: يتحرى الشاعر الصدق في مدح شيوخه الأجلاء، ويعبّر شعوره وانطباعاته تجاههم بتعبير صادق، وينعتهم بنعوت صادقة لا تزوير فيها، فتارة باصلاح دين الله، وتوحيد صفوف المسلمين، ومكافحة البدع وعواندها، وتطهير قلوب المسلمين من الشرك والنفاق والكفر والضلال.

هذا ما جعله يجبد التعبير عما يشعر به، فاستطاع أن يجعل القارئ يشاركه حباً إلى ذلك الممدوح، ويجعله التعايش معه.

يقول في هذا الصدد:

أتيت بنور فانمحت كل ظلمة \* فما عافه إلا عيون تــــمرمم

وأصلحت أطناب الحنيفة بعدما \* تداعت حبال الشرع وهي تهدد

دعوت بتعمير القلوب وصونها \* واصلاحها من كل رين يمدد

وقمت بتأليف الشتات بجذبة \* فأنت طبيب من بياك يحمّد

وأوصدت باب البدع حتى لقد غدت \* قلوب رؤوس البدع بالذکر ترعد

ثالثاً: وعندما نسوق حديثنا عن غرض الهجاء يجعلك الشاعر تسخر من المهجو لتجريده من المثل العليا، وتعبيده بأخلاق ذميمة، وإضافة المصالب والمآخذ إليه، أيها القارئ الجليل تخيل المهجو عندما يكاد الغيظ أن يقتله، وداء الحسد يتأجج في حشاه لما شاهد الشاعر لبس ثوبه الممزق، فكيف يكون حاله إذا خاط الجديد؟ يقول فيها:

لقد غاظه ثوبى الممزق ويله \* فكيف جديد الثوب ذلك يحرق

كما غاظه من قبل كوني على الثرى \* أعيش بحمد الله لا أتــــملىق



تشاهده اليوم من ظلم الرعية ونهب كنوز دولتهم، وانسحاب الأموال خارج الوطن، وترك سواد الأعظم تحت وطأة الفقر والجوع، فالعاطفة هنا قوية وحيوية، والحق أن هذه القوة والحيوية مرتبطة بعنصر الصدق الذي أشرنا إليه، ودونك القصيدة نموذجاً:

قد أكثروا قولاً يصك مسامعا \* بوعودهم عجزوا على إيفائها  
نهبوا كنوز الظالمين وجاهروا \* جور الرعية أعجزوا أصحابها  
كنزوا القناطر في أوروبا فهالني \* أفعالهم قد أفحمت خطباؤها  
ما بين منتجع بباريس تارة \* وبلندن بهرتهم تلك جمالها  
ما بين سرقة البلاد وزوروا \* أووراقهم كذبا وذاك شعارها  
قد أكثروا أقوالهم رقصوا على \* أنغام شعر لم تقم أوزانها

خلاصة القول يمكن أن يقول الباحث أن أشعار وقصائد السيد ذاكر شريف تعبيراً عن عواطفه الصادقة وتجربته الوجدانية وتفسيراً عن أحزانه وأشجانه، وصوتاً دويّاً لآلامه ووسيلة سريعة قوية يبلغ بها من النفوس ما يريد في أقرب وقت ممكن

هذا، وديوان الشاعر محفوف بالعواطف الكثيرة، وقد اكتفى الباحث بهذه كنماذج، تاركا وراءه عشرات أخرى لم يقدّمها أو تحليلها خوفاً للإطالة المملة.

#### الخاتمة:

لقد مرّ على القارئ الكريم لهذه المقالة مسح عام حول قضية العاطفة والصدق الفني وما لهما من أهمية في الإنتاج الأدبي والذي لا يقيم قوامه إلا على أساسهما.

وقد ظهر لنا جلياً أن الدكتور ذاكر شريف قرص قصائده على أساس الأصالة والصدق الفني في جميع أشعاره وطبقهما خير تطبيق لاسيما عندما تتابع مراثيه ومدائحه التي يتحرى الصدق فيهما إذ لا يمدح رجلاً إلا بما فيه، وكذلك لا يعاقل في الكلام.

علاوة على ذلك إن الديوان تعبير عن آلامه وخلجات نفسه وشعوره وانفعالاته في عاطفة صادقة غير مزورة، ذلك لأنه تأثر بالإسلام تأثيراً يمنع ترويض الكذب في إنتاجه الأدبي، وأني يكذب بعد علمه بأن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل وموعظة تبعث عن التقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفضل بين المحمود والمذموم من الخصال.

وقد كشفت لنا المقالة حالة بعض حكامنا الذين يسحبون أموال الناس إلى خارج الوطن، وترك سواد الأعظم من الناس تحت وطأة الفقر والجوع والحرمان، عبّر عن ذلك بعاطفته الرنانة وبكلمات صادقة وجذابة مع رونق وجمال.

خلاصة القول يمكن أن يقول الباحث أن أشعار وقصائد الدكتور ذاكر شريف تعبيراً عن عواطفه الصادقة، وتجربته الوجدانية وتفسيراً عن أحزانه وأشجانه وصوتاً دويّاً لآلامه ووسيلة سريعة قوية يبلغ بها من النفوس ما يريد.

والحمد لله بنعمته تتم الصالحات.

### قائمة المصادر والمراجع:

- أبو علي بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وأدابه ونقده. دار الطلائع، القاهرة، 2006م.
- الأستاذ الدكتور علي نائبي سويد المرحوم، كيف نتذوق الأدب العربي، دار الأمة كنو نيجيريا، 2006م، لم يذكر العدد.
- الإمام عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، مكتبة الإيمان جامعة الأزهر الشريف، لم يذكر العدد والتاريخ.
- الدكتور حمّود حسين يونس، الموازنة في النقد العربي حتى القرن الخامس الهجري، دمشق 2008م، الطبعة الأولى.
- الدكتور داود سلوم، النقد الأدبي، مطبعة الزهراء بغداد، 1967م.
- الدكتور سمبو ولي حنيد، محاضر بجامعة عثمان بن فودي، مقالة بعنوان: قاضي الوزير عبد القادر مألنوراج ومرثيته على الوزير محمد البخاري مجلة دراسات عربية، العدد الأول، أكتوبر 2001م.
- الدكتور شوقي، في الأدب والنقد، دار المعارف المصرية، 1999م.
- الدكتور شلتاغ عبود شرّاد، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، 1419م = 1998م، دار مجدلاوي عمّان.
- الدكتور طه أبو كريشة، في النقد الأدبي الحديث تاريخه وقضاياها، أبو رمول للطباعة والنشر، لم يذكر العدد والتاريخ.
- الدكتور محمد التّونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الثاني الطبعة الثانية 1419هـ = 1999م.
- الدكتور مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، مكتبة مصر دار مصر للطباعة والنشر، لم يذكر العدد والتاريخ.
- الدكتور محمد النويهي، عصر الصدق في الأدب، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، في جامعة الدول العربية، سنة 1959م.
- حلمي محمد عبد الهادي، مع الشبابي في ديوانه، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1987م.
- عبد القادر أبو شريفة والآخر، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر عمّان، 1420هـ = 2000م.
- كمال أبو مصلح، الكامل في النقد الأدبي، منشورات المكتبة الحديثة بيروت، الطبعة الثالثة 1967م.